الاستفتاح

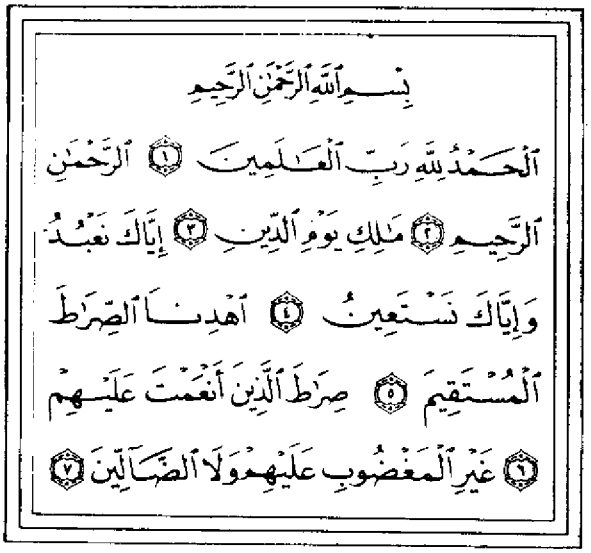
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ
الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَٰنِ
الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ
وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٤﴾ اهْدِنَا الصِّرَاطَ
الْمُسْتَقِيمَ ﴿٥﴾ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
﴿٦﴾ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ ﴿٧﴾

آمين

اللهم إني أسألك الهدى والسداد، وأعوذ بك من مضلات الفتن، بك أستعين فاهدني سواء السبيل.

مدخـــل

ازدادت الكتابة عن الأدب الإسلامي، ولكن جل هذه الكتب كان ينحو إلى التحديد النظري لسمات هذا الأدب، وقضاياه[1] ولم تظفر النصوص الأدبية من شعر وقصة، ومقالة، ومسرحية وغيرها من النصوص بدراسات أصيلة، تقدمها للقراء، وتبرز ما فيها من سمات ومميزات وخصائص تشكل في مجموعها سمات الأدب الإسلامي.

لقد صدرت دراسات عن بعض الشعراء، أو الكتّاب القدامى من العصور المختلفة، ولكنها في الغالب لم تكن منبعثة من تصور إسلامي واضح، يوقن بأن الإسلام منهج الحياة، بل كانت تنظر إلى أن الإسلام دين كبقية الأديان، وإن كانت له مزاياه الخاصة، وأنه أثّر في فترة من الفترات بالأدباء والأدب، وكان أكثر تأثيره في زمن النبي ﷺ، والخلفاء الراشدين ـ رضي الله عنهم ـ ولـذلـك كانت تقسيمـاتهم للأدب تقوم على هذا الأساس، فالعصر الإسلامي هو عصر النبي وخلفائه الراشدين، أما بقية العصور فهي عصور الدول المختلفة..

---

(١) صدرت عدة كتب في هذا السبيل، وبعضها يحاول إيجاد نظرية للأدب الإسلامي أو يتحدث عن بعض القضايا المهمة لهذا الأدب مثل «مقدمة لنظرية الأدب الإسلامي» للدكتور عبدالباسط بدر، و«مدخل إلى نظرية الأدب الإسـلامي» للدكتور عماد الدين خليل، و«نحو نظرية للأدب الإسلامي» للدكتور محمد أحمد حمدون، و«نظرية الأدب في ضوء الإسلام» للدكتور عبدالحميد بُوزُوينَة، و«نحو مذهب إسلامي في الأدب والنقد» للدكتور عبدالرحمن الباشا، و«مدخل إلى الأدب الإسلامي» للدكتور نجيب الكيلاني، وغيرهـا من الكتب، وبقيت الأمـور التطبيقية والدراسات الميدانية قليلة، حيث لم يظفر الإنتاج الأدبي إلا بقليل من الاهتمام، وأذكر في هذا المجال الدراسة الجيدة «مقدمة في دراسة الأدب الإسلامي» للدكتور مصطفى عليان، و«نصوص من أدب عصر الحروب الصليبية» دراسة وتحليل للدكتور عمر عبدالرحمن الساريسي، و«الاتجاه الإسلامي في الشعر الفلسطيني الحديث» للدكتور مأمون فريز جران، و«شعراء وأدباء على منهج الأدب الإسلامي» (١-٢) للدكتور محمد عادل الهاشمي، و«في الأدب الإسلامي المعاصر» للمؤلف، وغيرها من الدراسات.

ولذلك لم تكن الدراسات عن الأدب من هذا المنظور الشامل، وأصبح واجباً على المسلمين أن يعودوا إلى هذا التراث، فيعيدوا دراسته، وتصنيفه، ويعيدوا كتابة تاريخ الأدب بتصور إسلامي صحيح.

والأدب الإسلامي في العصر الحديث امتداد للأدب الإسلامي الذي بدأ منذ نزول أول آية في كتاب الله ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾، وسيبقى هذا الأدب حتى يرث الله الأرض ومَنْ عليها، لأنه قرين الإسلام، وقرين المسلمين.

وإذا غاب عن الناس والدارسين كمصطلح، فإنه لم يغب عن الحياة كإبداع ومضمون، وأساليب وفنون. ولكن أتباع الغرب، من العلمانيين وغيرهم، أرادوا إنكاره ومحاربته بالتعتيم، والإنكار، وإبراز النقيض، والدعوة إلى المذاهب الحديثة، وتطبيق المناهج الغربية المادية على الفكر والأدب، ونجحوا في محاولتهم لضعف المسلمين، ولغيابهم عن مسرح الأحداث لمدة تقترب من القرن أو تزيد.

وليس هذا الأمر غريباً، فالإسلام منهج متكامل، وحياة شاملة، فإذا غاب عن الحياة في المجتمع، والسياسة والفكر والاقتصاد والأخلاق والآداب، والاعتقاد، فإن غيابه في الأدب يصبح أمراً بدهياً. ولكن الصحوة الإسلامية التي بدأت تنتشر في أرجاء العالم الإسلامي من مشرقه إلى مغربه، تجلت في عديد من الميادين، ومنها الأدب.

* * *

في العقود الأخيرة بدأت تظهر الدعوة للأدب الإسلامي، وتفاوتت هذه الدعوة بين مَنْ يدعو، وهو مدرك لأبعادها، موقن بأن ذلك من واجبات المسلم لإحياء مثله، وممارسة نشاطه على أسس إسلامية، وبين مهتم بالأدب، تجذبه التيارات الجديدة، وتؤثر فيه الدعوات الطريفة، ولذلك سار مع هذه الدعوة التي واكبت الصحوة الشاملة.

ولهذا وجدنا كثيراً من العثرات، والأخطاء، ووجدنا كثيراً من الآراء التي لا تتوافق مع الإسلام، ومبعثها عدم معرفة أصحابها بالتصور الإسلامي الشامل، وعدم فهمهم للإسلام واطلاعهم على أصوله، ودراستهم له، ووقوفهم على أمور ثقافية فكرية بحتة، ودراستهم للمناهج الغربية لمدة طويلة، وكثرة اطلاعهم على ثقافة الغرب وآرائه وفلسفاته وآدابه، مما جعلهم لا يدركون حقيقة الإسلام، ولا يستطيعون التخلص من هذا الركام الثقافي الهائل،

ولا يملكون الفكاك من الافتتان بما تصدره أوروبا والعالم الغربي إلى العالم الإسلامي في كل يوم، ولا يقدرون على تصنيف الأفكار، والآراء على أسس إسلامية واضحة.

لقد تجلى ذلك في الكتابات النظرية، والإبداعات الأدبية.

وكان محبو الأدب الإسلامي يقعون تحت ضغوط كثيرة، واتهامات متنوعة، وكثير منهم لا يملك القدرة على الصمود أمام الموجات المتلاحقة باسم الفن والأدب، والمدارس الأدبية، والشروط الفنية، والعناصر الأدبية أو الفنية لكل فن من الفنون، ولذلك راح كثير من الدارسين محاربة الإبداع الأدبي الإسلامي باسم الشروط الفنية، والعناصر الأساسية للأدب، ويحاكم النصوص المختلفة وفق القواعد الغربية للشعر، والقصة، والمقالة وغير ذلك. بل دعاهم ذلك لإنكار أكثر النصوص الأدبية أصالة وشيوعاً: كالخطابة، والرسالة، والنصوص المبثوثة في التاريخ والسيرة وكتب التراجم، والرقائق، والأمالي والمختارات وغير ذلك من الكتب. لأن هذه النصوص لا تتفق مع الشروط المستوردة من الغرب، والقواعد التي ترجمها العلمانيون العرب ليحاكموا بها أدبنا، ويصنفوا على أساسها نصوص هذا التراث الأدبي العظيم.

إنه ليس من الغريب أن يصنع ذلك مَنْ ينكر الدين كمنهج للحياة، ومن يتابع الغرب صراحة، ولكنه من الغريب أن يتابع هؤلاء مَنْ يدعو إلى الأدب الإسلامي، ويتصدى للتنظير له وتحديد مزاياه. وقد لا يدري أمثال هؤلاء أنهم يسيؤون إلى كتاب الله العلي العزيز، هذا الكتاب المعجز أولاً، ويسيؤون إلى إمام الفصحاء البلغاء محمد رسول الله ﷺ ثانياً، ويسيئون إلى كل عظمائنا من الخلفاء والصحابة والتابعين الذين شهدت لهم العصور بالبلاغة والبيان، وحفظت لهم العصور أروع النصوص الأدبية من خطبة، ومقالة، ورسالة، وموعظة... إلخ.

إنهم لم يدركوا أنهم في استسلامهم لهذه الشروط، وتمسكهم بها إنما يصنعون أوثاناً يعبدونها، في الوقت الذي لا يتوانى فيه الغربيون عن تغيير هذه الأوثان، ووضع غيرها في كل يوم، ويسمّون ذلك ثورة في الأدب، وكشفاً في الإبداع، والدراسة الأدبية، والنقد..

إن ذلك حلال عليهم لأنهم صنّاع هذه الأوثان، ولكنه حرام علينا ونحن أصحاب دين ومنهج رباني شامل!!

إن لكل أمة تاريخ، وخصائص، وسمات، والآداب من ألزم الأشياء التي تحمل سمات كل أمة. فهي لا تستعار، ولا تقلد إلا في حدود، أرأيت كيف يستسيغ كل شعب أكلاته، حتى تصبح له ميزاته الخاصة، ولا يستسيغ غيرها؟ وكذلك الآداب. أرأيت كيف يعد الأوروبي الخمر فضيلة؟ ويرى أن مزجه بكثير من الطعام والشراب يعدُّ من الميزات والمذاقات المفضلة، بينما يرى المسلم أن ذلك نجاسة، وحراماً يعافه ويبتعد عنه تطيُّباً، وتعبُّداً، وتقرباً إلى الله، وارتفاعاً في معاني الإنسانية؟ وكذلك الآداب.

* * *

الأدب الإسلامي يحدد صفاته وسماته وأساليبه وفنونه من تجربته الخاصة، من واقع مجتمعه الذي عاش في ظل الاحتكام إلى الإسلام، والتظلل بظل شرع الله، ولا يحدد ذلك في ظل العبودية والخروج عن منهج الله، والتقليد والاتباع للآخرين.

الأدب الإسلامي يتطلع دوماً إلى حبل الله المتين، وإلى كتاب الله الكريم وسُنّة رسوله ﷺ، يراهما النبراس الأسمى، والقدوة العليا، فيهما النهج، والطريق، والسمو، والذوق والجمال. وكل ما يخالفهما فهو إلى الجحيم.

ولا يظنن أحد أن يسمع من الجاهلين ثناء ولا رضى عن الأدب الإسلامي، بل سيظلون يعلنون الحرب على هذا الأدب كما يعلنون الحرب على هذا الدين، بشتى الوسائل، واليوم وسائلهم أنكى فهم يبثون الجراثيم التي تعجز المجاهر عن اكتشافها، ويزرعون الفيروسات في دمائنا حتى لا نعود إلى الله، ولا نستسلم لله كلية، طائعين مطمئنين، فلماذا نحفل بنقدهم واعتراضاتهم، ومذاهبهم؟ وربنا يقول: ﴿**ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم، قل إن هدى الله هو الهدى، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم مالك من الله من ولي ولا نصير**﴾[٢] فلنبصر الطريق.

* * *

في عالم القصة كثير من الآثار التي لم يلتفت إليها النقاد، ولم يعدّوها من النتاج الأدبي، في الوقت الذي يحتفلون فيه بالقصة الغربية، أو المستغربة التي ينشرها أصحابها

---

(٢) سورة البقرة: آية (١٢٠).

في المشرق والمغرب، ويكتبون عنها، ويشيدون بها، ويرفعون صاحبها إلى مصاف المبدعين الكبار، مع أنها تكون نوعاً من العبث، أو الخواطر الشاذة.

عندما نذكر القصة الإسلامية الحديثة قلّما يُذكر غير أفراد قلائل أمثال السحار، والكيلاني، بل قد يذكرون قصصاً لم تكتب إلا للنيل من الإسلام، كقصص جرجي زيدان التي أطلق عليها اسم (روايات التاريخ الإسلامي).

أما غير هذه الأسماء فلا أحد يدري بها، وهذا الجانب المهمل حري بأن يأخذ من اهتمام الإسلاميين ما يستحق.

وسوف أحاول في هذه العجالة الإشارة إلى بعض القصص والقصاص الذين بدأوا يخطون طريقهم من خلال التصور الإسلامي، بل إن بعضهم كانت لديه الشجاعة للوثوب فوق الحواجز وعدم الالتفات إلى ما يضعونه في طريقه من عقبات باسم الشروط الفنية، أو الخوف مما يطلقون عليه أحياناً: المباشرة، والتقريرية، والتسطح، والوعظ، والخطابة، و... و... وحين نطالع أمثال هذه التجارب ندرك سبب رفضهم من قبل الملتزمين بالمدارس الغربية، وندرك سبب قبولهم لبعض التجارب القصصية لأمثال السحار والكيلاني أيضاً وغيرهما من دون هؤلاء.

* * *

ومن القصص التي تتميز بالتصور الواضح «القابضون على الجمر» لكاتبها محمد أنور رياض[٣]، وللكاتب الشاعر «عبدالله عيسى السلامة» قصتان هما «الثعابيني، والغيمة الباكية» وهما تجربتان جديدتان في القصة الإسلامية، تتناولان أموراً سياسية واجتماعية في بعض البلدان الإسلامية.

وللكاتب محمد حمدان السيد ثلاث مجموعات قصصية «ثورة الندم، وشاطىء الرؤى الخضر، والمطر المر» وله مجموعة اشترك فيها مع ثلاثة آخرين تحت اسم «خط اللقاء»[٤] وله أسلوبه الذي يميزه عن غيره من القصاص، واهتماماته التي يعبر عنها من خلال اختياراته لموضوعات هذه القصص، وطريقته التي بدأت تتوضح.

---

(٣) انظر كتاب المؤلف «في الأدب الإسلامي المعاصر» ص٢٥٧.

(٤) وهي بالاشتراك مع محمد الحسناوي، وعبدالله عيسى السلامة، ومحمد وليد سليمان، وهي تضم أربع =

وللكـاتب داود سلمان العبيدي عدة روايات هي «جبل التوبة، حديث الشيخ، فتاة الجزيرة، قصة الرجال الثلاثة، المدينة المفقودة، القرار».

وللأديب الشاعر الكاتب محمد المجذوب قصص كثيرة وروايات متعددة، وهو في هذا الميدان من المبـدعين الـذين لم ينـالـوا الاهتمـام الـذي يستحقـونـه، مع أنه ترك آثاراً كثيرة في الشعر والبحث والقصة، ومجالات الدعوة، ومن قصصه:

«دماء وأشلاء، اللقاء السعيد، الألغام المتفجرة، بطل إلى النار، من تاريخنا، بطل من الصعيد..».

وللشـاعـر المبـدع محمود مفلح ثلاث مجموعات هي «المرفأ، والقارب، وإنهم لا يطرقون الأبواب».

وللكـاتبة حنان لحام مجموعتان «الشمس والريح، وميلاد جديد» وهي تصور تجربة المرأة المسلمة المعاصرة وسط هذه المجتمعات المتناقضة.

وللكاتب القصاص المبدع إبراهيم عاصي مجموعات قصصية منها «سلة رمان، حادثة في شارع الحـرية، ولهـان والمتفرسون» وهو قصّاص مبدع كان له مستقبل جيد لو أُتيح له الاستمـرار. وهناك رواية أحسبها من روائع الأدب العالمي وهي لجنكيز ضاغجي الكاتب التتاري التركي، الذي عاش مأساة تتار القرم واسمه الكامل (جنكيز أمين حسين ضاغجي) وقد ترجم هذه الرواية الدكتور محمد حرب(٥) وللكاتب عشر روايات لم يترجم منها للعربية غير هذه الرواية وهي «السنوات الرهيبة».

وكذلك ترجم الدكتور محمـــد حرب رواية أخرى لها أسلوبها وطريقتها وهي «الهجرة

= عشرة قصة للأول ثلاثة، وللثاني أربعة، وللثالث أربعة ولمحمد السيد ثلاثة.

(٥) انظر الرواية (السنوات الرهيبة) ط١، ١٤٠٨هـ ـ١٩٨٨م ترجمة د/محمد حرب، دار المنارة، وهي تصور مأساة المسلمين في شبه جزيرة القرم السوفيتية إبان الحرب العالمية الثانية، أما بقية الروايات فهي (الرجل الذي فقد وطنه، هم أيضاً كانوا بشراً، سنوات الموت والرعب، هذه الأرض كانت أرضنا الحياة في الكـولخـوز، العودة، الشاب يتموجين، الأطفال المشنوقون على أغصان شجر الزيتون، الشارع المصاب بالبرد) وكم نتمنى أن يوالي الدكتور حرب ترجمة هذه القصص.

من أفغانستان» للكاتبة مرال معروف، وهي تسجل جانباً من حياة الجهاد الأفغاني العظيم في هذا العصر.

وللكـاتب الشاعر محمد الحسناوي عدة قصص منها مجموعته (الحلبة والمرآة) مع مجموعات اشترك فيها مع غيره وهي (خط اللقاء) و(أصوات).

وللدكتور عماد الدين خليل رواية (الإعصار والمئذنة) وهي تسجل المأساة التي عاشها العراق عامة، والموصل خاصة في ظل الحكم (الديكتاتوري، والثورة عليه).

وهنـاك مجموعـة قصصية للأستـاذ يوسـف العظم نشرت باسمين مختلفين مرة باسم (يا أيها الإنسان) ومرة باسم (أقاصيص للشباب).

وهناك قصة تاريخية جيدة وقد عرضت ترجمة أمينة لأحد علمائنا (الخليل بن أحمد الفراهيدي) وهي (قصة عبقري) للدكتور يوسف العش رحمـه الله. وهناك قصص طريفة في بنـائهـا وأسلوبها وهي (قلب آخر لأجل الزعيم) للأستاذ حسن العشماوي، و(إنهم فتية) لسلمى الحوري، و(فوق القمة) د. عطية زهري. وهي قصص جديدة في صورتها وأسلوبها ووضوحها.

هذه لمحة بسيطة عن بعض التجارب القصصية التي صدرت في السنوات الأخيرة، وهي تشكل جانباً من الإبداع القصصي الذي يحمل التصور الإسلامي، ويتحرر من عقدة الذنب التي ظلت تلاحق بعض الكتّاب المشهورين، مما جعلهم يخضعون لشروط الفن الغـربي في نظرتهم للمـرأة أو المجتمـع، أو الأفكـار، أو أسلوب المعـالجـة، أو رسم الشخصيات أو تحديد أهداف القصة.

إن واجب الكتّاب أن يتخلوا عن العوائق والمخاوف، ويدخلوا ميدان الدراسة التطبيقية من تصور إسلامي وليس من تبعية فنية أو فكرية لغير الإسلام.

* * *

ولعلني في الصفحات القادمة أُسهم بقدر ضئيل في تقديم عدد من هذه القصص، أو إلقاء الضوء عليها، أو التعريف بها، أو تحليلها ونقدها، وهذا في نظري بعض الواجب الذي ينبغي أن يؤديه الكاتب المسلم نحو أدبه، وهو أجدى من الحديث عن النظريات أو

رسم المناهج النظرية.

ولعل القارىء من خلال صفحات هذا الكتاب يدرك معي أهمية التحرر من أطر المذاهب الغربية، والنظر إلى المحاولات الجديدة برؤية جديدة، وتصور جديد بعيداً عن الأحكام المسبقة، والقيود المستوردة.

إن القصة فن إسلامي أصيل لأنها أسلوب من أساليب القرآن الكريم، ولنا نحن، المسلمين، وليس لغيرنا أن نبدع فيه بالطريقة التي تلائم تصورنا ومجتمعاتنا، ومستقبلنا. إنها الفن الذي ارتبط عندنا بالحق، والخير، والإيمان **﴿إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن، وإن كنت من قبله لمن الغافلين﴾**[6]، فكيف نقبل أن يصبح وسيلة للإفساد الفكري والخلقي باسم الشروط الفنية، والقواعد الفنية؟ وكيف يقبل الأديب المسلم أن يتابع أصحاب الفلسفات المادية، والوثنية الأدبية في تناولهم لهذا الفن، ويعرضون عن متابعة كتاب الله عزّ وجل الذي سجّل لنا طرائق وصوراً من القصة؟. إن الفن الإسلامي فن غائي، لأن الإنسان مخلوق مسؤول، ومسؤوليته لأنه عبدٌ مكرم ومميز على جميع الخلق ولذلك فالقصة ترتبط عندنا بالهدف **﴿لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثاً يفترى، ولكن تصديق الذي بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون﴾**[7].

فهل سيعود هذا الفن إسلامياً على أيدي أمثال هؤلاء الذين نتناول قصصهم بالحديث في هذا الكتاب؟

ذلك ما نرجوه.

---

(٧) سورة يوسف: آية (٢-٣).

(٨) سورة يوسف: آية (١١١).